كلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: تيارات فكرية كبرى

السداسي: الثاني

وحدة التعليم: الأساسية

الرصيد:05

المعامل:02

البريد الإلكتروني: linda.zeghlache@univ-msila.dz

هدف المحاضرة الرابعة: تعرف الطالب على مفهوم التيار العقلاني ومبادئه، والقضايا التي تناولها رواد وشخصيات البارزة فيه، والنظريات المعتمدة للعقلانيين، لنرصد في الأخير أهم الانتقادات الموجهة لهذا التيار.

المحاضرة رقم 4

التيار العقلانـي

د.زغلاش ليندة

التيار العقلاني:

1.التعريف بالتيار العقلاني:

العقلانية تيار فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول التيار إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

1.1.المعاني التي تأول إليها مفهوم العقلانية:

العقلانية **(Rationalism)** هي القول بأولية العقل، وتطلق على عدة معاني: (صليبا،1982، ص90-91)

- **الأول** هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول.
- **الثاني** هو القول إن المعرفة تنشأ من المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية، لأن هذه التجارب لا تفيد علمًا كليا. والمذهب العقلي بهذا المعنى مقابل المذهب التجريبي**(Empirisme)** الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الحس والتجربة.
- **والثالث** هو القول إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هنالك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس. مثل ذلك أن المثل عند افلاطون، والمعاني النظرية عند ديكارت والصور القبلية عند كانط متقدمة على التجربة. فإذا عددت هذه المثل وتلك المعاني والصور شرطا ضروريا وكافيا للحصول المعرفة كانت العقلانية مطلقة، وإذا عددتها شرطا ضروريا فقط كانت العقلانية نسبية.
- **والرابع** هو الإيمان بالعقل، وبقدرته على إدراك الحقيقة وسبب ذلك في نظر العقلانيين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الاشياء الخارجية، وأن كل موجود معقول، وكل معقول موجود فإذا قالوا إن العقل قادر على الإحاطة بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو دين، كان

مذهبهم مضادا لمذهب الايمانيين(**Fideistes**) الذين يعتقدون أن العقل لا يكشف عن الحقيقة، وإنما يكشف عنها الوحي والإلهام.

- والعقلانية عند بعض العلماء الدين هي القول عن العقائد الإيمانية مطابقا لأحكام العقل. ولهذه العقلانية ثلاثة أوجه: **الأول** هو القول ان العقل شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية، و**الثاني** هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادئ العقلية، و**الثالث** هو الدفاع عن العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية.

2.1.المذهب العقلي(Intellectualisme):

هو القول: ان كل ما هو موجود فهو مردود الى مبادئ العقلية، وهو مذهب ديكارت ، واسبينوزا، وليبينيز، وفولف، وهيجل، ويطلق بوجه خاص على النظرية التي ترجع الحكم الى الذهن لا الى الإرادة، فلا تفسح المجال الظواهر الوجدانية ولا الإرادية في الأعمال الذهنية.(صليبا،1982،ص90)

يرى **أندري لالاند** في موسوعته الفلسفية: أن العقلانية بالمعنى الميتافيزيقي، مذهب يقول بعدم وجود أي شيء بلا موجب، بحيث انه لا يوجد شيء لا يكون معقولا، قانون إن لم يكن واقعا، ومن ثم ومن زاوية مصادر المعرفة، تكون في المقابل التجريبية، ويقول: إن العقلانية معرفة يقينية تصدر من المبادئ لا تقبل الضحد، قبلية، بينة، تكون حصيلتها اللازمة، ولا يمكن الحواس أن تقدم عنها سوى نظرة ملتبسة وظرفية. (لالاند،2001، ص1172)

إذن يعود مصطلح(عقلانية) الى القرن السابع عشر حسب موسوعة لالاند الفلسفية، ويدور في مجملها على اعتبار العقل محور المعرفة والتلقي في كل المعارف دون استثناء، وقد عبَّر عنها المفكر الفرنسي **إدغار موارن**[1] بأنها:"رؤية للعالم تُقصي من الواقع كل ما ليس عقليا وكل ما ليس ذا طابع عقلي "، والعقلانية في جوهرها لا تعتمد على التجربة المادية أو خبرة الإنسان، وإنمَّا تعوِّل على المنطق والعقل بصفتهما كاشفين للمعرفة، وهو ما أوضحه المفكر البريطاني **جوليان باجيني**[2] بقوله" :يعتقد أصحاب المذهب العقلي أن الطريقة للحصول على المعرفة هي التعويل على موارد المنطق والعقل، وهذا النوع من التفكير لا يعتمد على معطيات الخبرة، بل ينطلق من الحقائق الأساسية التي يتطلب أن تكون موجودة

[1].إدغار موران عالم اجتماع فرنسي معاصر، ولد في باريس عام 1921 م.
[2]جوليان باجيني مفكر بريطاني معاصر ولد 1968 م في فولكستون، حصل على درجة الدكتوراه عام 1996 م من جامعة لندن عن أطروحة عن فلسفة الهوية الشخصية.

وليست نابعة من الخبرة". ويجب أن نؤكد هنا من خلال المفاهيم السابقة؛ أن العقلانية في الفكر الغربي لا تعني استخدام العقل، وإنما تعني استقلال العقل في تحصيل المعارف كلها. (السيف،1442هـ،ص55)

الاتجاه أو المذهب العقلي Rationalism **بوجه عام:** هو ذلك المذهب الذي يقول بسلطان العقل ويرد الأشياء إلى أسباب معقولة ويطبق في العلم والفلسفة والأخلاق والسياسة، وبوجه خاص :هو نظرية تفسر المعرفة في ضوء مبادئ أولية وضرورية ترى أنه لا سبيل إلى أي معرفة بدونها، لأن الحواس لا تستطيع أن تزودنا إلا بمعلومات غامضة ومؤقتة. (مدكور،1953، ص178)

وللمذهب العقلي صورة قديمة وأخرى حديثة، الأولى يمثلها فيثاغورث حيث إن تفسيره الرياضي للوجود بالأعداد ساعد على نشأة المذهب العقلي قديماً، و **بارمنيدس** الذي وحد بين الوجود وفكرة الوجود، و **أناكسجوراس** الذي أكد أن العقل هو مصدر الحركة والمعرفة، ول كن يعتبر أفلاطون هو رائد المذهب العقلي في صورته القديمة؛ حيث يصف المثل بأنها عقلية قائمة في العقل وأن المعرفة غير ممكنة إلا إذا تذكر الإنسان الحياة التي كانت تحياها النفس في عالم المثل قبل هبوطها إلى البدن .كما أننا نجد ميلا نحو العقلانية في فلسفة أرسطو، وخاصة في نظريته عن النفس والعقل، حيث يفسر الإدراك العقلي بافتراض عقلين **الأول** :عقل منفعل(عقل بالقوة) **والثاني** :عقل فعال (عقل بالفعل) ، وذلك تحقيقا للمبدأ الأرسطى القائل بأن كل ما هو بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلا بتأثير شيء آخر بالفعل. (السيد علي،2018، ص73)

والجدير بالإشارة ان فلاسفة اليونان كانت لهم مساهمة ذات قيمة–سقراط، أفلاطون وأرسطو–إذ شكلت بداية التوجهات الفلسفية العقلانية ذات شأن كبير مع بدايات النهضة الأوروبية، وخاصة مع فلسفة **رينيه ديكارت** و**غوتفريد ليبنيتز والباروك سبينوزا**، فرغم اختلافهم في بعض الخصائص والسمات والمميزات، بيد أن كل الفلاسفة العقلانيون يتفقون على قاعدة عامة مؤداها أن السبيل الوحيد للوصول إلى الحق والحقيقة والمعرفة الصحيحة هو العقل بمبادئه الفطرية ومقولاته القبلية وآلياته الاستدلالية والحدسية. ولا يمكن بأي حال من الاحوال الاعتماد على الميتافيزيقا بكل تمثلاتها المختلفة كمصدر للمعرفة.

غير أن الفضل الحقيقي والتاريخ والفلسفي والفكري في بناء صرح النزعة الفكرية العقلانية يعود بجدارة الى فلاسفة العرب والمسلمين وخاصة **أبو الوليد بن رشد**(1126– 1198) صاحب النزعة الرشدية العقلانية التي تأثر بها كثيرا الايطالي **توما الاكويني** والتي قام بنقلها الى الفكر الأوروبي قبل ظهور كل الفلاسفة العقلانيون الذي تم ذكرهم انفا، فقد استفاد فلاسفة اوروبا فلاسفة أوروبا كثيرا من

خدماته الفكرية والفلسفية والتقنيات العقلانية، المنطقية والمنهجية ،بل هناك اتفاق عند كثير من المستشرقين الغربيين بأن ابن الرشد هو ابو العقلانية الأوروبية. علاوة على مختلف الخدمات الفكرية التي قدمتها فرقة المعتزلة بزعامة واصل بن عطاء، الذين اشتهروا بالتأويل العقلاني للنصوص النقلية. ومن أهم كتب المعتزلة "المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار، فضلا عن مؤلفات أخرى ككتاب" الكشاف " للزمخشري وغيرها. (عبد المالك،2020، ص60-61)

وقد اتفق العقليون **Rationalists** على أن العقل قوة فطرية في الناس جميعا، فالإنسان عندهم لا يتلقى العلم من الخارج بل من عقله هو، وعن طريق هذه المبادئ التي توجد في عقله سابقة على كل تجربة، يستطيع أن يعرف العالم الخارجي، بل ويستطيع أن يفرض قوانينه ومبادئه عليه .وهم يصفون هذه المبادئ بأنها أولية **a priori** أي سابقة على التجربة المكتسبة ومستقلة عنها، وذلك في مقابل المعرفة البعيدة **a posteriori**التي تجئ اكتسابا عن طريق التجربة .ولذلك تصور العقليون العقل بأنه ملكة فطرية، وحين يتحدث ديكارت أبو العقليين عما يسميه" نور الفطرة "أو" النور الطبيعي "فإنه يقصد بذلك نور العقل أو المعرفة العقلية .ولما كان العقل يدل عند هؤلاء العقليين على ملكة واحدة مشتركة بين الناس جميعاً، فقد تصوروا أحكامه مطلقة وضرورية وكلية .والمقصود بالحكم المطلق أنه الحكم الثابت الذي لا يتغير معناه بتغير المكان أو الزمان، وضده النسبي .والمقصود بالحكم الضروري أنه الحكم الواضح بذاته ذو النتيجة الحتمية، وضده الممكن أي الحكم ذو النتيجة الاحتمالية .والمقصود بالكلي أنه العام المشترك بين جميع الناس، وضده الجزئي الخاص بأحد الأفراد فحسب. (السيد علي،2018، ص71)

كمً يؤكد كل العقلانيين إمكانية المعرفة القبلية تأكيدًا مميزًا، وهي تُعرَّف في بعض الأحيان بأنها المعرفة التي تمُتلك قبل التجربة"، كما يوضح المفكر الأمريكي **هنتر ميد** اتساع الحقول التي تغطيها المعرفة العقلانية بأسلوب مبسط بقوله" :إننا إذا شئنا أن نكتسب بشكل واضح طبيعة الواقع ؛ فليزم علينا ألا نبحث في العلوم ال فيزيائية بمً فيه من اهتمام بالمادة والحركة والقوة وما إل ذلك، بل من واجبنا أن نتجه إل الفكر والعقل ، وليس معنى ذلك أن الصور التي يقدمها لنا العلم عن العالم فيها شيء من الخطأ، بل من الجائز أنها صحيحة جدًا غير أنها ناقصة ، فالعقلانية ترى أن العقل هو مصدر كل معنى وقيمة .وكل مذهب لا يجعل العقل دعامة أساسية فهو يقدم صورة ناقصة عن الحقيقة. (السيف،1442هـ، ص54-55)

2.مبادئ التيار العقلاني:

يعتمد الاتجاه العقلي على مجموعة من المبادئ الأساسية، وهو منهج فلسفي ظهر في القرن السابع عشر تبناه عدد من الفلاسفة والعلماء يؤكد على أن العقل هو أساس المعرفة وطريق الوصول إليها دون حاجة لاستعمال الحواس، وهو ما يخالف المناهج الفلسفية الأخرى، ومن أهم مبادئه: **(Javed ,2023)**

- تكتسب المعرفة البشرية عن طريق استعمال العقل دون الحاجة للتجربة أو الاعتماد على الحواس.
- المعرفة الناتجة عن الحواس والمشاعر معرفة مضللة، والعقل هو الطريق الوحيد للوصول للحقائق.
- الواقع من حولنا مبني بطريقة واضحة وعقلانية يسهل اكتشافه والتعرف عليه وتفسيره بالاعتماد على القوانين العلمية.
- الأفكار مرتبة في العقل البشري بطريقة فطرية تقوم على مبدأي الجوهر والسببية.
- علم الرياضيات هو العلم المثالي لتفسير كافة الافتراضات العلمية وتأكيدها بنظريات أو قوانين علمية.
- الحدس هو شكل من أشكال البصيرة أو المعرفة النابعة من الداخل في تفسير الأشياء، فيظهر الحدس كأنه إيمان حقيقي.
- الاستنتاج هو عملية نحصل منها على المعرفة بناءً على وجود مقدمة منطقية يمكن الاستخلاص منها بتوفر أدلة صحيحة.
- استخدام الحدس والاستنتاج معًا يوفران معرفة مستقلة تعتبر نوع من أنواع الذكاء والبداهة.
- التجارب ليست وسيلة للوصول للمعرفة إنما تساهم في إيصال معلومات فطرية إلى الوعي أو ما يعرف بالمعرفة الفطرية المنقولة من وجود سابق وفقًا لبعض الفلاسفة.
- كل ما نتخيله هو صحيح مما يعني وصول الحدس الشخصي لمنزلة الإيمان غير القابل للشك. المعرفة الفطرية تتفوق على المعرفة المكتسبة عن طريق التجربة والخبرات.

3. أبرز شخصيات ورواد التيار العقلاني:

1.3.ابن رشد (1126م-1198م) ما يوافق(520هـ-595هـ):

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد. ولد في قرطبة في منتصف القرن الخامس، وبرز في الفقه والدين مع الخلُق الكامل ونبت نباتًا حسنًا، فصار صاحب الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، وقاضي الجماعة بها. وكان لتقدُّمه في الفقه على جميع معاصريه مَفْخرة من مفاخر الأندلس، ونُجعة رائدي التفقه من جميع أقطارها، كما كان مشاركا في علوم أخرى كثيرة، فقد درس ما يدرس أمثاله من الفقه والأصول وعلم اللغة والكلام والأدب، وأخذ عن أبيه أبي القاسم في الفقه ونحوه من علوم الدين، فاستظهر عليه موطأ الإمام مالك، ولم يكتف بهذا فقد دفَعَه عقله الطُّلعة إلى دراسة التعاليم «الرياضيات»، والطب، وغير ذلك من علوم الحكمة.(موسى،2014،ص14-16)

أن ابن رشد قد استحق بجدارة لقب" **الشارح الأكبر**" لفلسفة أرسطو حكيم اليونان... حيث جاءت شروحه ختامًا لشراح عديدين تناولوا من قبله فلسفة أرسطو، منهم الكندي، ابن سينا، الفارابي، ولكن هؤلاء قد ساروا في خطأ نفسه الذي وقع فيه قبلهم شراح كثيرون، عندما أخلطوا بعض فلسفة ارسطو بفلسفة افلاطون، فقد أعاد ابن رشد تحديد معالم فلسفة أرسطو، وقدم في شروحه دراسة نقدية لما ارتكبه قبله الشراح من أخطاء، كما أن فترة حياة ابن رشد كانت ضمن فترة خاتمة عصر ازدهار الفلسفة العربية الاسلامية في العصر الوسيط، وإعطائه لهذه الفلسفة دفعة من الازدهار لم تشهدها من قبل، كما أن له العديد من المسائل الأساسية التي تميز بها عن أرسطو، مثل تصوره للذات الإلهية، ولوحدة الوجود، ولعالم الصور، وللتوفيق بين الحكمة والشريعة، ولبعض القضايا الاجتماعية، كقضية الحرية الانسانية ،وموقف من المرأة وتقسيم الناس إلى مراتب ثلاث إلى...و غير ذلك.(عمارة،1983،ص15-21)

تميز بفلسفته العقلانية التي سميت بالرشدية، إذ تعتبر الفلسفة الرشدية فلسفة عقلانية بامتياز، في حدود العقلانية المتدينة. وتبرز أهم أفكاره الرشدية من خلال المواضيع التي تناولتها: كالإشكالية العلاقة

بين العقل والنقل وتبرير النظر والتأويل العقلي بالشرع، كما تناولت فلسفة العقلانية الرشدية مهمة الفلسفة الإلهيات–قدم العالم–السياسة–الاخلاق–النفس...الخ، من أشهر مؤلفاته: **فصل المقال، تهافت التهافت،** شرح كتاب **ما بعد الطبيعة،** كتاب في الطب بعنوان **الكليات في الطب،** وفي الفقه **بداة المجتهد ونهاية المقتصد**....الخ.

1.1.3.أهم أفكار ابن رشد:

وفيما يلي نعرض من بين أفكاره مايلي:

–يقدم لنا ابن رشد الفيلسوف المنسجم مع منهجه في التوفيق بين الحكمة والشريعة، في كل ما تناوله بحثه من قضايا ومعضلات... ومنها القضية نظرية المعرفة، وعلاقة الواقع بالفكر والمادة بالوعي.

وفي تصور الذي ساقه ابن رشد للمعرفة الإنسانية، والوعي الإنساني، والعلم الخاص بنا، هو ما يسميه " **العلم المُحدث**" تمييزا على ما يسميه "**بالعلم القديم**" الخاص بذات الله سبحانه وتعالى...، فهو يرى أن هذا العلم القديم –على عكس علمنا الإنساني–ليس معلولاً للواقع ولا صادرا عن المادة، بل هو مؤثر في هذا الواقع وتلك المادة... لأن له صفات الإحاطة والشمول التي لا يتصف بها علم الإنسان. ففي هذا التصور يرى ابن رشد الذات الإلهية، **علمًا خالصًا** أي أنها "**علم مؤثر**" وفاعل، وليس علما ومعرفة ووعيًا نابعًا من الواقع الموضوعي، كما هو الحال في علم الإنسان...، فقد وفق بين التصور الفلسفي المادي للعناصر الأساسية في نظرية المعرفة وبين الإيمان والاعتقاد بوجود فاعل أول في هذا الكون وعلة أولى في هذا الوجود. (عمارة،1983، ص91–92)

–كما يعرف المعقولات الصادقة بأنها هي التي توجد في النفس والذهن، على النفس ما هي عليه خارج النفس والذهن وأن ذلك يستلزم حتما وجود مادة وجردًا موضوعيًا خارج النفس، وبشكل مستقل عنها تمامًا، كما يقول: " أن العلم الصادق هو الذي يطابق الموجود".

– تطرق ابن رشد الى جانب مبدأ السببية، وعلاقه ضرورة القائمة بين الأسباب والمسببات، عندما يناقش في (تهافت التهافت) الإمام الغزالي، الذي أنكر السببية، ورفض علاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، وسماها " **بالعادة**" و" **الاقتران**" ...أفاض ابن رشد في نقض حجج الغزالي، وقدم مذهبا في السببية واضحا ومحددا، استغرق في كتابه هذا عدة صفحات.

–ومن المسائل الجديرة بالاهتمام، ذلك الاتفاق بين موقف ابن رشد وموقف فلسفة المادية بصدد قضية من أخطر القضايا المطروحة في حقل الدراسات الفلسفية، والتي هي محل خلاف شديد بين الماديين

والمثاليين... قضية علاقة الإنسان بتاريخه وحضارته وواقعه ومستقبله... وهل كل ذلك من صنعه؟ أو أن الإنسان أعجز من أن يصنع التاريخ والحضارة ويؤثر في سير الأحداث؟

والفلسفة المادية، الى جانب اعترافها بالقوانين الموضوعية للواقع الموضوعي المستقل تماما عن الذهن الإنسان، والسابق لهذا الذهن ووعيه في الوجود، ترى –على عكس في الفلسفة المثالية–أن الوعي الإنسان بهذه القوانين يتيح له المزيد من القدرة على السيطرة عليها لتسخيرها في صنع الحضارة والتاريخ على الوجه الذي يريد... فتُحدِّد أن الذي يصنع التاريخ هي: مجموعة الإرادات الإنسانية الفردية والمجتمعة وردود أفعالها، الفاعلة في العالم الخارجي... ثم تحدد لنا مصدر هذه الإرادات الإنسانية، بأنه العوامل خارجية الواقعية المحيطة بالإنسان المريد، وكذلك مكوناته الذاتية، التي هي على ارتباط وثيق بواقعه كذلك، الى جانب مجموعة المثل والدوافع التي تساهم في تحديد إرادة هذا الإنسان المريد... ويقول ابن رشد في نفس هذا التصور" ان الافعال المنسوبة إلينا، يتم فعلها بإرادتنا وموافقة الأفعال التي من خارج لها". أي الإرادة. وأشار أن الأشياء الخارجية بتأثيراتها، وكذلك المكونات الذاتية للناس، هي مصدر هذه الأفعال (التاريخ)، وهي أيضا مرجع ذلك" النظام الجاري في الموجودات". (عمارة،1983، ص90)

–ولم يقتصر ابن رشد على العلم والمعرفة والوعي بالجزيئات، بل أيضا بالقوانين والكليات،" **إن الكليات المعلومة عندنا معلولة أيضا عن طبيعة الموجود**"، ثم يفسر لنا كيف يتفق ذلك مع عدم قيام **الكليات** في الواقع والموجودات، إذ القائم هناك هي الجزئيات التي أثمرت، بواسطة العقل، هذه الكليات، فيقول: "إن قول الفلاسفة: الكليات موجودة في الأذهان لا في الأعيان، إنما يريدون أنها موجودة بالفعل في الأذهان لا في الأعيان، وليس يريدون أنها ليست موجودة أصلا في الأعيان، بل يريدون أنها موجودة بالقوة، غير موجودة بالفعل، ولو كانت غير موجودة أصلاً لكانت كاذبة".

–وفيما يتعلق بحقيقة قيام الوجود الموضوعي قيامًا مستقلا عن ذهن الإنسان وإفرازه للعلم والمعرفة والفكر والوعي، نجد لإبن رشد في ذلك أقوالاً كثيرًا، منها قوله: "... إن علمنا معلول للمعلوم به، فهو مُحَّدَثٌ بحدوثه، ومتغير بتغيره"... وذلك لأن" وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا" و"حدوث التغير في العلم عند تغير الموجود، إنما هو شرط في العلم المعلول عن الموجود، وهو العلم المحدث". أي علم الإنسان.

– وهذا التغير والتطور الذي يحث دائمًا في الموجود والواقع، هو العلة في التغير والتطور في المعلوم...

" إذا كان العلم واجبا أن يكون تابعًا للموجود، ولما كان الموجود تارة يوجد فعلا وتارة يوجد قوة، وجب أن يكون العلم بالوجودين مختلفًا. " (عمارة،1983، ص88)

2.3.رنيه ديكارت(1596-1650):

يعتبر رينيه ديكارت أحد أهم علماء الغرب قاطبة، استنبط الهندسة التحليلية، وكان من أوائل واضعي الفيزاياء الرياضية وهو رائد العقلانية الغربية الحديثة، ومكتشف الكوجيتو ويقين الذاتية على الصعيد الفلسفي، عاش في العصر الكلاسيكي بين سنة(1596-1650) وطبع القرن السابع عشر بفكره، فقد كان معظم كبار فلاسفة ذلك القرن مثل سبينوزا ولبينز من تلامذته، حاول أن يطبع الشك المنهجي على شتى ميادين المعرفة، فاصطدم بكل الظلامين الذين يخيفهم نور العقل الإنساني، وقوة المعرفة العلمية والتقدم التقني. ثار ديكارت ضد عصره، وهاجم الفلسفة النظرية التأملية التي كانت تعلم في المدارس لعمقها وعدم نفعها في فهم آية ظاهرة تعترضنا، ونادى باللجوء إلى فلسفة أخرى عملية أنفع للحياة تستمد مثلها من الفيزياء الحديثة المرتبطة بالرياضيات. (رنيه ديكارت،1993، ص05-06)

1.2.3.جعل من التفكير المنهجي ضرورة:

والذي يعنيه ديكارت بالمنهج هو كما قال:" جملة قواعد مؤكدة، تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته، دون أن يستنفذ قواه في جهود ضائعة " .وهو يتساءل عن جدوى الدراسات والبحوث التي لا نكتسب منها إلا آراء ظنية أو احتمالية. وهو يجيب عن التساؤل بما معناه ان الجهل التام خير من المعرفة المزعزعة الناقصة، ولن يكون العلم علمًا إلا إذا كان يقينيًا. ونموذج ذلك اليقين هو المعرفة الرياضية.

وحسبنا أن نراعي في بحوثنا أمور ثلاثة، لنضفي على أي علم يقينًا يعدل اليقين العلوم الرياضية:

1-ألا نشتغل الا بمعاني واضحة ومميزة اي معاني مضمونها بديهي كل البداهة.

2-أن نذهب دومًا من **المعاني** الى **الأشياء**، أي أننا لاننسب إلى الأشياء إلا ما ندركه إدراكًا **بديهيًا** في المعاني تلك الأشياء.

3-وأن نرتب جميع أفكارنا في نسق خاص بحيث يكون كل معنى منها مسبوقًا بجميع المعاني التي يستند إليها، وسابقا على جميع المعاني التي تستند اليه. (عثمان أمين،1967، ص21)

2.2.3.الشك من أجل اليقين:

لما كان مطلوب الفيلسوف بلوغ اليقين الذي يمكن أن يقيم عليها بناء العلم كله، فقد صمم على أن يشك في كل ما تعلمه من قبل، وأن يمضي في هذا الشك إلى أبعد حدوده، بادئًا النظر كله من جديد، وكأن عينيه تنفتحان لأول مرة على العالم من حوله.

إذا الخطوة الأولى التي يقضي بها المنهج الفلسفي هي **تعليق** آرائنا على الأشياء، ووقف أحكامنا عليها، ريثما نتبين حقائقها.

ولكن سرعان ما يستبين الإنسان أن شيئا واحدًا -وهو الفكر-يظل ثابتا قائما مهما شك ومهما أخطأ: فأنا في شكي مدرك ولا ريب أني أفكر، وواثق أني أفكر، وحتى لو شككت في أني أفكر فلا أستطيع أن أنكر أني أفكر في حين أشك، وأني إبان تفكيري بل إبان خطئي في تفكيري لابد أن أكون موجودا من حيث أني أفكر:" و **إذن فأنا كائن** " (وهو يعني بذلك ثبوت الإنية أو الذات المفكرة، لا وجود الشخص المتحقق في الخارج).(عثمان أمين،1967،ص22)

مع الملاحظة أن محاولة الشك هذه هي في ذاتها تفكير، وهذا يعني ان حتى المحاولة الشك في أنني أفكر تدل على أنني أفكر، وهذا يعني أنه يستحيل أن أشك في أنني أفكر. وان كنت أفكر فيجب أن أكون موجودًا، وهذه عبارة ديكارت المشهورة **كوجيتو Cogito ergo sum:** إذًا فأنا موجود، ولكن هذه **الأنا** التي لا شك في وجودها ليست هذا الجسم، فقد فرغنا من مسألة الجسم مع مبدأ منهج الشك. وهكذا فإن القاعدة المتينة التي يمكن بناء المعرفة الحقة عليها هي أنني شيء مفكر غير مادي. (برندان،2010، ص117)

3.3.باروخ سبينوزا SPINOZA (1632-1677):

سبينوزا الذي يعرف بطريقته الاستنباطية العقلية الرياضية الهندسية. والتعبير نهائي عن فلسفته هو كتابه" **الأخلاقيات المبرهن عليها في النظام هندسي**" الذي كُتب باللغة اللاتينية في القرن ،17 ولكنه لم ينشر إلا في سنة 1677 بعد وفاته، وفيه يعلن سبينوزا نظاما فلسفيا كليا يسير في موازاة هندسة أقليدس. وكما يوحي العنوان فإن هدف سبينوزا هو إعطاء الشرح للخير بالنسبة الى الإنسان، وفي الأجزاء الأخيرة من العمل نجد شرحا مفصلا للعواطف والانفعالات الإنسانية ولطبيعة الحرية. ولكن

الجزء الأول والأشهر من العمل ينشئ نظرية ميتافيزيقية في الكون من مبادئ الأولى، بدءا بما يراه سبينوزا الفكرة الأساسية، وهي فكرة **الجوهر**. حيث إن الفكرة الفلسفية عن الجوهر تأتي من أرسطو والذي يقر بوجود جوهر واحد والذي يتمثل في"**الله أو الطبيعة**". (وعند **ديكارت** هناك نوعان من الجوهر: **الذهن** (او جوهر الفكر) **والمادة** (أو جوهر الممتد)) (كوتنغهام،1997، ص59-64)

تأثر سبينوزا بشكل كبير الفيلسوف الفرنسي ديكارت وخاصة بنزعته العقلانية، ومختلف وآرائه في القضايا كقواعد المنهج والشك منهجي، والكوجيتو، وقضية ثنائية النفس والجسد، هذه الفكرة الاخيرة التي انتقدها سبينوزا، الذي اعتبر النفس والجسد كيان واحد متصل. يعتبر هذا الفيلسوف من أكثر المفكرين اضطهادا من قبل قوميته اليهودية، التي اتهمته بالكفر والإلحاد والزندقة والخروج عن الملة، إلى درجة تعرضه الى محاولات اغتيال من طرف متدين يهودي متطرف، خاصة عندما صرح بأن اليهودية والمسيحية تستندان إلى حقائق جامدة وطقوس فارغة في المضمون ولا معنى لها.

ومن بين أعماله، تكلم على النظرية الهوليسية في التفسير، حيث يؤكد أن كل جزء من الطبيعة يتفق مع الكل، وأن أي فعل أو رد فعل، مهما وصفناه وصفًا دقيقًا ورياضيًا، لا يمكن تعليله تعليلا كاملا إلا على مستوى علاقته ببنيته الكون في كليته. (كوتنغهام،1997، ص64)

وعنده **المعرفة أربعة مستويات**، وأعلى مستوى فيها المعرفة العقلية الحدسية، وهذه المستويات كالآتي:

- **المعرفة السماعية:** وهي التي وهي التي يأخذها الانسان عن طريق السمع، مثل علم الإنسان بتاريخ ميلاده، وهذه المعرفة في أدنى المستوى.
- **المعرفة التجريبية الغامضة:** وهي المعرفة عن طريق الحواس، مثل أن النار تحرق. وهي معرفة غامضة ومختلطة.
- **معرفة العلة بمعلولها:** وهي معرفة لا تكون لدينا فيها فكره واضحة عن العلة، ولكننا نستنبط فيها العلة من المعلول.

- **المعرفة العقلية الحدسية:** مثل معرفة أن الخطين المتوازيين لثالث متوازيان، ومثل معرفة خصائص شكل هندسي بناء على معرفة تعريفه. ولذا فالرياضيات هي نموذج المعرفة العقلية اليقينية، لأنها واضحة ومتميزة، يصل إليها العقل بنفسه، وتقوم على إدراك الشيء من تعريفه أو ماهيته.

ولهذا اتبع **سبينوزا** المنهج الهندسي في استنباطه لجوهر فلسفته في الوجود والمعرفة، وذلك في كتابه **الأخلاق**، حيث سار على منهج إقليدس في كتابه **مبادئ الهندسة**، وأهم معالمه هي: التعريفات **Definitions**، البديهيات **Axioms**، القضايا**Propositions**، البرهان **Proof**، كما استخدم **سبينوزا** نفس الاصطلاحات الرياضية الهندسية، مثل: " المطلوب **Q.E.D** " و" اللازمة أو ما يلزم **Corollary** ". (الخشت، 2007، ص39)

تأثر سبينوزا بشكل كبير الفيلسوف الفرنسي ديكارت وخاصة بنزعته العقلانية، ومختلف وآرائه في القضايا كقواعد المنهج والشك منهجي، والكوجيتو، وقضية ثنائية النفس والجسد، هذه الفكرة الاخيرة التي انتقدها سبينوزا، الذي اعتبر النفس والجسد كيان واحد متصل. يعتبر هذا الفيلسوف من أكثر المفكرين اضطهادا من قبل قوميته اليهودية، التي اتهمته بالكفر والإلحاد والزندقة والخروج عن الملة، إلى درجة تعرضه الى محاولات اغتيال من طرف متدين يهودي متطرف، خاصة عندما صرح بأن اليهودية والمسيحية تستندان إلى حقائق جامدة وطقوس فارغة في المضمون ولا معنى لها.

4.3.غوتفريد لبينز LEIBNIZ (1646-1716):

عالم وفيلسوف ألماني، تقوم فلسفة لبينز على فكرة أساسية وهي التناغم او تناسق الكلي في الكون والوجود. ولهذا عرف في خصائص تفكيره بفكرتي التناسق والتفاضل. حتى في علم الرياضيات يعتبر مكتشف حسابات التفاضل. وفي كتابه **فن التركيب** طور فكرة التحليل المعاني أو الحدود. أما في نظرية المعرفة يرى أن المعرفة الصحيحة يجب أن تتميز بصفتين أساسيتين وهما: الضرورة والكلية. ولهذا رأى ضرورة وجود النسقية والتنظيم في اي معرفة صحيحة أو مذهب فكري حيث تكلم كثيرا عن فكرة الانسجام الازلي. وتناول هذا الفيلسوف الالماني عدة قضايا فلسفية، كالمعرفة والأخلاق والسياسة والميتافيزيقا، كما كان صاحب أراء سياسية وقومية.

الفيلسوف العقلاني غوتفريد لبينز **(بالألمانية**Gottfried Wilhelm Leibniz**)**

قسم لبينز كل القضايا الى صنفين، وهما "**حقائق العقل**" **vérités de raison** و"**حقائق الواقع**" **vérités de fait**. وهو عرف هذين الصنفين كما يلي: " إن حقائق العقل هي الحقائق التي تكون ضرورية ونقيضها محال، وحقائق الواقع هي التي تكون محتملة ونقيضها ممكن".

إن هذا ان هذا التمييز الحاسم بين القضايا التي يجب ان تكون صحيحة والقضايا التي يصادف أن تكون صحيحة قد أدى دورا أساسيًا في الفلسفة الحديثة، ومع ذلك فإن عمل **كانط** (المتمحور حول تمييزه الثنائي بين التحليلي والتركيبي من جهة، والقبلي والبعدي من جهة أخرى) هو الذي كان أكثر تأثيرا من الناحية التاريخية.

ويستمد لبينز الحقائق من **المبدأ التناقض** عنده، وهو واحد من المبدئين الكبيرين اللذين يزعم أن عليهما يتأسس تفكيرنا. ويقول هذا المبدأ بوضوح إن القضية تكون صحيحة إذا كان نقيضها (الذي يعني به نفيها أو ما يناقضها) يشتمل على التناقض. وهكذا، فالمرء إذ يدعو شيئا ما مثلثًا ولكنه ينفي أنه ثلاثي الأضلاع فمن شأنه أن يناقض نفسه، ومن ثم فالقول"كل المثلثات ثلاثية الاضلاع " هو حقيقة من حقائق العقل (حقيقة علمية). وبصياغة العبارة بطريقة أخرى، يقول لبينز أن مسوِّغات الحقيقة في مثل هذه القضايا يمكن أن توجد من خلال **التحليل**، ما دام من الممكن إما أن تكون **قضايا متطابقة** وإما أن تُختصر الى تلك القضايا بالتحليل. وهذه القضايا المتطابقة هي ما سوف ندعوها تحصيلات حاصل –أي قضايا من قبيل" **أ**" هي" **أ**" .ولنأخذ مثال المثلث مره أخرى، فإن قضيتنا" **كل المثلثات ثلاثية الاضلاع**" يمكن أن تتحول ببساطة التساوي التعريفي" **المثلث = شكل ثلاثي الأضلاع** " ،أي أنها يمكن

ان تختصر بالتحليل الى تحصيل حاصل. وعلى نحو مماثل من المثير للاهتمام أن نلاحظ في هذا السياق أن لبينز كان يَعدّ مسائل الرياضيات تحصيلات حاصل من حيث الجوهر، وهو بذلك يسير عكس تحليل كانط اللاحق، ولكنه يسبق رؤية الكثير من المفكرين الحديثين. (كوتنغهام،1997، ص71)

4.نظريات المتعلقة بالمذهب العقلي:

وهي ثلاث نظريات تعد لبنات المذهب العقلي، ولا يعزو أحد نفسه إلى ثلة العقليين إلا وهو راء إحدى هذه النظريات الثلاث، وهي كالآتي: **(Markie,2004,p03)**

الأولى: نظرية الحدس والاستنباط التي تهتم بالضمان الذي نضمنه لأنفسنا حينما نوقن بقضية، ونحكم بها في مجال معين.

تقول نظرية الحدس والاستنباط :إن القضايا والأحكام التي نحكم بها في مجال معين، منها ما لا سبيل إليه إلا بالحدس، وأما الباقي فيستنتج منه استنتاجا. **مثلا:** نحدس أن الثلاثة عدد أولي، وأنه أكبر من الاثنين، فنستنتج من هذا أنه يوجد رقم أولي أكبر من الاثنين .فمجموع الحدس والاستنتاج يوفر لنا من المعلومات ما يحصل بغير التجربة ومعالجة حواس، أي القضايا القبلية.

الثانية : النظرية الثانية المرتبطة بالمذهب العقلي هي نظرية المعرفة الفطرية.

تقول هذه النظرية: نحن مفطورون على المعرفة ببعض القضايا الصادقة في بعض المجالات.

هذه النظرية كسابقتها – نظرية الحدس والاستنتاج – تقرر وجود المعرفة القبلية أي الحاصلة بغير التجربة ومعالجة حواس .وما تفترقان عنده هو وجه حصول هذه المعرفة القبلية .فالنظرية السابقة تسند حصول المعرفة القبلية إلى الحدس وما تلاه من الاستنتاج، وأما هذه – نظرية المعرفة الفطرية – فتلمس أصل المعرفة القبلية في جبلتنا وفطرتنا العقلية .فنحن لا نحصل عليها لا بمعالج الحواس ولا بممارسة الحدس والاستنتاج، فهي مغروسة فينا غرسا. نعم، يمكن أن تنبهنا التجارب والحواس على تلك المعرفة الفطرية تنبيها، وتدفعنا إلى إحضارها في منصة وعينا دفعا، ولكن ليس التجارب هي ما زودنا بها، بل هي معنا منذ كنا.

الثالثة : النظرية الثالثة المرتبطة بالمذهب العقلي هي نظرية الأفكار الفطرية.

تقول هذه النظرية :البشر منذ ولادته يمتلك أفكارا، يسير على دربها في مجال خاص، عند معالجة فطرته العقلية. فنحن- على حسب هذه النظرية – لدينا أفكار، لم تأتنا عن طريق التجربة ومعالجة الحواس، بل هي جزء من جبلتنا، وأما التجربة فقصارى أمرها أن توقظها من سباتها إيقاظا، وتحملها إلى حلبة شعورنا.

ويوجد في مملكة العقلية نظريتان أخريان، يراهما أنصار العقلية، ولكنهما منهم بمنزلة التحسينيات من الإنسان، فالإنسان لا يلزمها التحسينيات، فصاحب المذهب العقلي لا يلزمه أن يراهما أو أحدهما .وهما كما يلي: **(Markie,2004,p04)**

نظرية ضرورة العقل:

هي تقول :إن المعرفة الفطرية والمعرفة التي تأتي جعبة معرفتنا عبر الحدس والاستنتاج، ما كان للتجربة أن تزودنا بها، فالعقل ضروري، لا مفر منه.

نظرية تفوق العقل:

هي تقول :إن المعرفة الفطرية والمعرفة التي تأتي جعبة معرفتنا عبر الحدس والاستنتاج، تتفوق على ما تزودنا به التجربة ومعالجة الحواس. وهذه النقطة – تفوق المعرفة العقلية على المعرفة التجربية – تتطلب تفسيرا وتوضيحا، وقد أخرج أتباع المذهب العقلي له وجوها كما يلي:

–**أحدها:** وهو منسوب إلى ديكارت: أن ما نعرفه معرفة قبلية يقيني، لايحوم حوله أدنى شك، وأن ما يأتينا عن طريق التجربة ومعالجة الحواس فأقل ما فيه أن ساحته ليست بريئة عن الشك من كل وجه.

–**والثاني:** وهو معزو إلى أفلاطون: يحدد موقع هذا التفوق في ذوات الأشياء التي نعرفها معرفة قبلية .فما يتصل علمنا به من خلال العقل وحده- ولتكن المثل الأفلاطونية مثلا- أعلى رتبة وأربأ درجة مما تطلعنا عليه التجربة ومعالج الحواس بمناح شتى :من نحو الثبات وعدم التغير والأبدية والكمال، وسمو درجة الوجود.

5.الانتقادات الموجهة لتيار العقلاني:

- العقل ضروري لكل معرفة، ولكنه ليس كافيا وحده، لأن الآليات والمقولات العقلية تحتاج دائما الى معطيات وقرائن مادية وحسية، كمادة خام للاستثمار فيها معرفيا وعلميا.
- لو كان مبادئ العقلية والفطرية والقبلية موروثة، عامة ومطلقة كما يعتقد العقلانيون، هذا يستلزم منطقيا وعقليا تساوي وتتشابه الناس في العلم بها وفهمها، وبالتالي يتساوى الناس في مبادئهم وأفكارهم، لكن الواقع يثبت العكس، بحيث هناك اختلاف مهول بين البشر وثقافاتهم وقناعتهم ونمط تفكيرهم ومبادئهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وقوانينهم، ومنظوماتهم ومؤسساتهم.
- يقول ديكارت" **العقل أعدل الاشياء قسمه بين الناس**"، هذه القاعدة صحيحة نسبيا، لأن لو سلمنا بصحتها، لكانت تقارب والتوافق بين العقول البشرية، لكن هذا ليس متاح دائما.

- من أهم الانتقادات التي وجهت إلى التيار العقلاني، هو عدم اهتمامه بدور الحواس والإدراكات الحسية في فهم الكون والوجود، وركز بشكل كلي على العقل ومقولاته ومبادئه ومفاهيمه.
- العلم التجريبي والمعطيات الحسية هي جزء لا يتجزأ من معرفة الحقائق المتعلقة بالكون والوجود والإنسان.
- العقل وحده قاصر على فهم الحقائق الروحية المتعلقة بالوحي، فالوحي يوجه العقل ويرشده إلى حقائق إلهية ربانية ليست متاحة للعقل البشري. كما أن العقل بدون وحي قاصر في فهم التشريعات الإلهية والحقائق الربانية. كقدم العالم، والذات الإلهية وصفاتها ومميزاتها، فهناك حقائق جاء بها الوحي، ليست متاحة للعقول.
- توغل التيار العقلاني في المفاهيم المطلقة والقبلية، في حين أغفل دور المعارف البعدية والنسبية.